إحساس وكيف ومعرفة

كوكب يونس

عملنا على مدار السنوات الماضية في دار الطفل العربي1 على تطوير آليات ووسائل ومناهج عمل جديدة وحديثة في التعامل مع هذه المرحلة العمرية المهمة في حياة الطفل، ومن خلال التجربة التي دامت على مدار أكثر من عشر سنوات، تمكنا من تطوير رؤى فلسفية للمركز، تقوم على أساس التواصل الفردي والجماعي مع الأطفال، فكل طفل له مميزاته وقدراته الخاصة التي يجب أن يتم العمل على تعزيزها وتطويرها بدلاً من طمسها وتأبيدها، بالإضافة إلى إعطاء أهمية أكبر إلى حس الطفل وجسمه باعتبارهما عوامل مهمة في عملية التعلم. ومن خلال هذه الرؤية والفلسفة علمنا على تطوير نهج تربوي نموذجي لمرحلة الطفولة المبكرة (من الولادة حتى 12 سنة) أسميناه «إحساس وكيف ومعرفة».

كانت بداية النهج في دار الطفل العربي العام 1996، حيث تم إدخال فعاليات فنون للبرامج اليومية. ففي السنة الأولى، تم تعريف الأطفال على بعض المواد التي تستعمل في الفنون، وقد اخترنا أسلوباً يتلاءم مع رؤيتنا التربوية، أسميناه لاحقاً بنهج «إحساس وكيف ومعرفة»، ويعتمد على نظريات تربوية حديثة، ترى أن الطفل يتعلم من خلال حواسه وجسمه، وأنه يتعامل مع تجاربه بصورة شمولية. وبما أنها كانت البداية، فقد مر جميع أطفال الحضانات والروضات بالبرنامج ذاته.

في السنة التي تلتها، تعرّف الأطفال على أساليب عمل مختلفة في مجال الفن، كما تعرّفوا على فنّانين محليّين وعالميّين، وعلى الأسلوب الذي اتّبعه كلّ منهم. وفي السنة الثّالثة، تم إدخال مادة الخشب ودمج المعطيات العلمية عن هذه المادة بالعمل الفنّي، فكانت النتيجة مذهلة، إذ أنّ ما اكتسبه الأطفال من معلومات وما أبدعوه من عمل فاق تصورنا. من هنا بدأت فكرة توثيق البرنامج وتوسيعه ليتحوّل من فعاليات منفصلة لنهج عمل شامل. وقد مكنا استمرار عدد من الأطفال في المؤسسة لسنوات متتالية من تطوير العمل معهم بصورة جيدة.

وحسب النهج، يتم العمل منذ البداية بمجموعات صغيرة، كي يتسنّى للمربّية الإصغاء والتجاوب والتواصل مع كل طفل، وتقوم المربّية بدور الوسيط لتطوّر مع الطّفل فكرته، علماً أن المهمّ هو المسار وليس النّتيجة النّهائية. مثلاً؛ عندما يقدّم "طحين" لمجموعة أطفال، يرغب طفل ما في استعمال الطحين لطبع يديه، ويرغب آخر في تذوّق طعمه، بينما يقوم طفل ثالث بتأمّله من بعيد . . . ، كذلك قد يأخذ طفل ما كمية كبيرة من الطّحين، ويأخذ آخر كمية قليلة . . . وهكذا.

تتماشى المربية مع اختيار كلّ طفلٍ وتشجّعه على خوض التجربة، ويشكّل الاحترام المتبادل أساساً مهمّاً في التّعامل بين الأطفال والمربيات. وبشكل عام، فلكلّ طفل خصوصيته وميوله وقدراته، ولكلّ طفل رأيه وطريقة تعامله، ويمنح كلّ طفل فرصاً متنوعة للعمل والتجربة في إطار من التقبل والدعم.

أعطى نهج العمل الواضح والمرن في آن واحد لكل مربية فرصة لإظهار قدراتها وتميّز أسلوبها في العمل، وكان هذا الأمر دافعاً لهنّ للعمل برغبة وتفان. كما لوحظ أنّ النّهج حسّن العلاقات بين الأطفال وبين الطّاقم، وبين الأطفال أنفسهم، وبين الطّاقم وأولياء الأمور، وبين أفراد الطّاقم ذاته، وحتّى بين الأطفال وأولياء أمورهم، إذ يتمّ سنوياً ترتيب أيام "إحساس وكيف ومعرفة" للأطفال وأولياء أمورهم، حيث تعطى للأهل الفرصة لخوض بعض التّجارب التّي يعيشها أطفالهم في الحضانة و الروضة، ما يسهم في خلق تقارب بينهم. بالإضافة إلى ذلك، يتعرف الأهل على نهج عمل المؤسسة، ويتبنون هذا النهج أحياناً لأنفسهم.

وعلى مستوى مسار العمل اليومي، هناك حوار مستمر بين العائلات والطّاقم، ويترجم هذا الحوار على شكل مهامّ وتجارب يأخذها الطفل لبيته، مثل تجميع مواد وخردة وإحضارها للمؤسسة، أو تساؤلات يطرحها الطّفل على ذويه، أو محاورتهم إثر تعرّضه لموضوع أثار فضوله في المؤسسة.

أهداف النهج

- منح الطفل/ ة أدوات لزيادة قدراته/ ا على التفكير والإبداع .
- تطوير شخصية مرنة، ذات ثقة بالنفس وبالقدرات .
- تطوير الإدراك والفهم، والتحليل العلمي عند الطفل/ ة .
- تنمية شخصية منتمية متكاملة ومتوازنة مقابل الضغوطات الخارجية عند الأطفال .
- صقل الذوق الجمالي، والقدرة على انتقاء الأجود .

يعتمد النهج على ثلاثة أسس :

1 . احترام كل طفل حسب موقعه .
2 . الطفل يتعلم ويتطور بشكل شمولي .
3 . الحواس والجسم هي عوامل أساسية في التعلم .

كوكب يونس
المديرة العامة لمؤسسة دار الطفل العربي– المثلث الشمالي

الهامش

[1] دار الطفل العربي– المثلث الشمالي : جمعية خيرية، قطرية تأسست العام 1989، وهي رائدة في رعاية وتطوير الطفولة المبكرة، وذلك من خلال إدارة حضانات وروضات نموذجية، وتأهيل الحضانات لهذا الغرض، والعمل على تحضير وتطوير برامج عمل مبنية على أسس علمية تكون عوناً ومرجعاً للمربيات عامه، ولمربيات دار الطفل خاصة . ويرتكز عمل المؤسسة في منطقة المثلث الشمالي خاصة .